أبو مروان بن حيّان القرطبي
ـناقداً أدبياًـ

م. د. غيداء احمد سعدون شلاش
قسم اللغة العربية
كلية التربية للبنات / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١٢/١/٢٥ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١٢/٣/١٨

ملخص البحث:

أبو مروان بن حيان القرطبي أديبٌ ومؤرخٌ مشهورٌ عاش بين (٣٧٧ – ٤٦٩ هـ)، وهو عالم أشاد الكثيرون بثقافته وأدبه ومكانته بين علماء القرن الخامس الهجري في بلاد الأندلس.

وقد وقفت هذه الدراسة على الآراء النقدية الأدبية المبثوثة في كتبه وكتب المؤلفين الآخرين الذين نقلوا كتاباته.

اهتم أبو مروان بتدوين الأحداث التاريخية في بلاد الأندلس والتعريف بأبرز أعلامها منذ بدء فتح الأندلس عام ٩١هـ إلى وفاته، واقفاً عند أشعارهم وآثارهم الأدبية وقفات نقدية متعددة تضمنها هذا البحث، مثل:

الطبع والصنعة، والبديهة والارتجال، وبواعث الشعر ، وفضل الممدوح على الشاعر، واثر الأدب في المتلقي، والسرقات الشعرية، والمقارنة بين الأدباء، وتفضيل بعضهم على بعض، وكيفية اختياره للأبيات الشعرية، وتقديم الخطباء على الشعراء، وخلع الألقاب على الأدباء، واثر الزمان والمكان في الشعر، واللفظ والمعنى، وتفضيل الإيماء على الإفصاح، والالتزام الأخلاقي والديني ، وطول القصيدة مع ابتغاء المعنى مقتدياً في عدد من آرائه بالنقاد القدامى، ومنفرداً بغيرها، مما يشهد له على نظرته النقدية الأدبية التحليلية المتمعنة.

Abu Marwan Ibn Hayyan Al-Qurtubi
–as a literary critic–

Lect. Dr. Ghaida Ahmed Saadoun Shlash
Department of Arabic Language
College of Education for Females / Mosul University

Abstract:

Abu Marwan Ibn Hayyan Al-Qurtubi ,the critic and famous historian, lived between (377 –469 A.H.) .He was praised by many authors for his culture ,literature and his position among the scholars of the 5th century A.H. in Andalusia. This study examined Ibn Hayyan's opinions published in his books and the books of other authors who transferred his writings.

Abu Hayyan was interested in registering the historical events in Andalusia and the definitions of its most important scholars since the Andalusia conquer in 91 A.H. to his death .He examined their poetry and literary writings in various critical studies included within this study,such as: Endowment and craftsmanship, intuition and improvisation , poetry motifs, the bids of the praised to the poet, literature influence on the receiver, plagiarism, comparisons between literary men , preferring some of them to others, presenting orators before poets, the way of choosing verses, the poets' titles, time and place effect on poetry, word and meaning, preferring allusion to declaration, the ethical and religious commitment, and the length of poems with seeking for meaning. He followed in his opinions a number of critics in addition to his own view in a way that certifies his careful analytical critical view.

المقدمة:

لقد وقف الدكتور محمود علي مكي في مقدمة تحقيقه لكتاب(المقتبس من أنبـــاء أهـــل الأندلس) لأبن حيان القرطبي على عدد قليل من الآراء النقدية الأدبية لهذا المؤرخ وقال في بدء حديثه عنها : "ولسنا نستطيع هنا تقصي هذه الأحكام الأدبية ؛ فهي منتـــشرة فـــي كـــل كتاباته سواء في القطع التي بقيت لنا من (المقتبس) أو فيما حفظه لنا ابن بسّام وابن الخطيب وغيره من كتاب(المتين) . ولو أن هذه الأحكام كلها جمعت على كونها جزءاً صغيراً ممـــا بقي لنا من إنتاج ابن حيان الغزير - لأمكن أن تصبح مادة لدراسة طيبة عن النقد الأدبي في الأندلس..."[1].

(1) المقتبس من أنباء أهل الأندلس :ابن حيان القرطبي، (مقدمة المحقق) ،١٠٩.

وقد أشار الدكتور محمد مفتاح أيضاً إلى أهمية دراسة نقد أبي مروان بن حيّان وذلك في الندوة الخاصة بابن حيان وتاريخ الأندلس التي عقدتها وزارة الشؤون الثقافية بالرباط فيما بين ١٩ -١٩٨١/١١/٢٣م والتي نشرت بحوثها مجلة المناهل المغربية في عدديها الضخمين ٢٩ و ٣١[١].

ونوّه إلى ذلك أيضاً الدكتور حازم عبد الله خضر (رحمه الله) في بحثه الموسوم بـ(أبو مروان بن حيان أديباً وكاتباً) سنة ١٩٩٠م في عبارة نصها: "لما كان عنوان البحث ينص على دراسة أبي مروان من الوجهة النثرية الأدبية فإننا لا نستطيع المضي في عرض آراء أبي مروان النقدية ومواقفه من الشعراء وأشعارهم وعنايته بنصوصهم في الأغراض المختلفة ، ولعل الله تعالى يوفق إلى دراسة أخرى لهذه الشخصية العلمية التاريخية الأدبية في جانبها الشعري والنقدي تكون أكثر تفصيلاً وابعد استقصاءً لما امتاز به أبو مروان في هذا الجانب من ثقافته وآدابه"[٢].

وقد غفلت الكتب التي اهتمت بالنقد الأدبي القديم عن ذكر النقد الأدبي لأبي مروان مثل كتاب (النقد الأدبي عند العرب – نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري) للدكتور إحسان عباس ، وكتاب (محاضرات في تاريخ النقد عند العرب) للدكتورة ابتسام مرهون الصفار والدكتور ناصر حلاوي ، و (تاريخ النقد الأدبي في الأندلس) للدكتور محمد رضوان الداية ، وكتاب (نقد الشعر في الأندلس قضايا ومواقف) للدكتور مقداد رحيم.

وربما كان ذلك لعدم وجود مؤلَّف يجمع كتابات هذا المؤرخ المشهور[٣] ، لذا عمد البحث إلى دراسة هذا الموضوع بعد لم شتات كتابات ابن حيان المتفرقة مما وصل إلينا منها في كتابه (المقتبس) الذي ذكر ابن حزم (ت٤٥٦هـ)انه في عشرة مجلدات [٤] لكن لم يصل الينا منه إلا أربع قطع متفرقة تضم معلومات عن تاريخ الأندلس منذ الفتح العربي سنة٩١هـ (٧١١م) حتى قريب من عصر المؤلف[٥].

أولها :"القسم الثالث من كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس" وهو مشتمل على تاريخ دولة الأمير عبد الله الأموي بقرطبة ، وقد اعتنى بنشره عن النسخة المخطوطة

---

(١) (منهاجية ابن حيان في تاريخ الادب ونقده)، مجلة المناهل، المغرب ، ع٢٩، س١١، جمادي الثانية ١٤٠٤هـ ، مارس ١٩٨٤م ، ٢٣٢ -٢٣٦ مكرراً في كثير منها ما ذكره د.مكي في مقدمة تحقيقه للمقتبس.

(٢) مجلة آداب الرافدين، ع٢١، س ١٩٩٠م، ١٨ . وقد نشر هذا البحث سابقاً في العدد الخاص بندوة ابن حيان وتاريخ الأندلس في مجلة المناهل، ع٢٩ ، س١١، مارس ١٩٨٤م ، ١٨٨ -٢٢٢ ولكن دون أن يذكر فيه الدكتور حازم عبد الله خضر هذه العبارة التي تنبه إلى دراسة نقد ابن حيان .

(٣) ينظر : (إبن حيان القرطبي مؤلفاته ومنهجيته) : د. عبد الرحمن علي الحجي ، مجلة المناهل ، المغرب، ع٢٩، س١١، جمادي الثانية ، ١٤٠٤ ، مارس ، ١٩٨٤ ، ٢٣٧ -٢٤١.

(٤) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : للمقري ، ١٦٧/٤ .

(٥) ينظر : مقدمة المحقق د. محمود علي مكي لكتاب المقتبس ، ٥٥.

بالخزانة البدليانة بأكسفورد الأب ملشورم انطونية سنة ١٩٣٧م ، نشر بولس كتترا الكتبي بباريس ، وهي طبعة قديمة تحتاج إلى من يوليها عناية ويعيد تحقيقها إذ إن ذلك المستشرق قد توهم في عدد من كلماتها حتى انه كان أحيانا يكتب الأبيات الشعرية ضمن النثر.

أما القطعة الأخرى فكانت تحت عنوان: (المقتبس لابن حيان ، الجزء الخامس)، وهي بتحقيق شالميتر، ومراجعة كورينطي وسوبا وغيرهما.

في حين أن القطعة الثالثة تحمل عنوان (المقتبس من أنباء أهل الأندلس) تحقيق الدكتور محمود علي مكي ، وقد قدم لها بمقدمة غنية بالمعلومات عن هذا الكتاب ومؤلفه ويؤكد المحقق أنها ثالث القطع التي تنشر[١].

والقطعة الرابعة تحمل عنوان :(المقتبس في أخبار بلد الأندلس) بتحقيقين أولهما لعبد الرحمن علي الحجي ، وثانيهما بشرح الدكتور صلاح الدين الهواري .

أما كتاب (المتين) لأبن حيان فلم يُعثر عليه لحد الآن لكننا نجد معلومات منه مبثوثة في بطون المصادر الأندلسية الأخرى حيث يمثل ما قد كتبه ابن حيان عن عصره[٢].

وقد وقف البحث على الكثير من الآراء النقدية لابن حيان المتضمنة كتاباته المبثوثة في كتب: (الذخيرة) لابن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ) ، و(كتاب الصلة) لأبن بشكوال (ت٥٧٨هـ) ، و(المُغرِب في حُلى المَغرِب) لعلي بن سعيد (ت٦٨٥هـ) وآخرين ، و(الإحاطة في أخبار غرناطة) للسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ) ، و(نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب): للمقري التلمساني (ت١٠٤١هـ) .

نبذة عن حياة أبي مروان بن حيان القرطبي الأندلسي :

أبو مروان هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان محمد بن حيان بن وهب القرطبي الشهير بابن حيان، ولد في قرطبة سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م ، وتوفي سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م[٣].

وقد كان عالماً من الطبقة العالية ذا دراية في ميادين واسعة ومختلفة وكان أبرزها ميدان التاريخ الذي يدل أسلوبه فيه على أنه كان أديبا سلس العبارة ، منمّق الأسلوب ، مع بلاغة وفصاحة حتى أنه لقب بـ"شيخ الأدب والمؤرخين في بلدنا"[٤] أي الأندلس.

---

(١) تنظر : مقدمته لكتاب المقتبس ، ١٢٣ .

(٢) تنظر :مقدمة د.محمود علي مكي لكتاب المقتبس ، ٥٦ -٦٢ .

(٣) جذوة المقتبس: للحميدي ، ٢٠٠ ، رقم ٣٩٧؛ الصلة: ابن بشكوال ، ٢٤٧، رقم ٣٤٩.

(٤) المغرب في حلى المغرب : ابن سعيد ، تحقيق: شوقي ضيف ١١٧/١.

وقد أفاض الدكتور محمود علي مكي في التعريف بشخصية ابن حيان القرطبي [١]، وأشار إلى شخصيته النقدية بقوله:"فالنقد عند أبي مروان جانب جدير بأن نوليه بعض العناية، بل اننا نزعم أن تلك الأحكام التي أصدرها على أدباء الأندلس في ثنيات تاريخه ترفعه إلى مكان بارز في الصف الأول من النقاد"[٢].

هذا وقد عاش أبو مروان بقرطبة زهاء التسعين عاما بظروفها المتقلبة وخلفائها وقد عرف عن هذه المدينة اهتمامها بالعلم والعلماء الذين كان في مقدمة علمائها والده خلف بن حسين الذي يعد أستاذه الأول إذ كان من احرص الناس على تعليم ولده ابن حيان وهو الذي تولى عدة مناصب في الدولة [٣]، فعاش ابن حيان في بلاطات تقيّم العلم والعلماء وتهتم بهم وتحتفي بعلمهم وتشجعه فاندفع والده لتثقيفه منذ صغره وأمده بطائفة من المعلومات التي أهلته ليصل إلى مكانته المرموقة التي وصل إليها وأشاد بها الجميع وضمه الخلفاء والولاة لينقل أخبارهم وأعمالهم وليتقوا شر انتقاداته ولذاعة لسانه في زللهم وغلطهم وهذا كثيراً ما يتضح لمن يقرأ مؤلفاته.

وقد ذكر عنه ابن بشكوال انه "كان عالي السن قوي المعرفة مستبحراً في الآداب بارعاً فيها صاحب لواء التاريخ بالأندلس أفصح الناس فيه وأحسنهم نظماً له"[٤].

وقد ذكر ابن سعيد أن لابن حيان القرطبي سهم في قول النثر والشعر ولكن يتبعه بحكم نقدي يتبين من خلاله أن شعره كان نازلاً كثيراً عن طبقة نثره بقوله "سبحان من جعله إذا نثر في السماء ، وإذا نظم تحت تخوم الماء"[٥]. وان كنا لم نر لابن حيان ولو بيتاً واحداً من نظمه خلال كتاباته، وهذا الحكم لا يقلل من شأنه مؤرخاً وأديباً وناقداً .

نظراته الأدبية :

لابن حيان آراء نقدية كثيرة في كتاباته منها ما كان نقدا اجتماعيا أو نقدا سياسيا وغالبا ما كان نقدا نفسيا للشخصيات التاريخية التي يتحدث عنها ، ولكن ما يهمنا في هذا البحث نظراته النقدية الأدبية التي كثيرا ما لمسناها متفرقة هنا وهناك في كتاباته التي يمكن أن تثري النقد الأدبي في القرنين الرابع والخامس الهجريين إذ لم يكن متسعا في هذه الفترة [٦]. ومن تلك النظرات النقدية الأدبية وقوفه عند :

---

(١) تنظر : مقدمة كتاب "المقتبس من أنباء أهل الأندلس،تحقيق: د.محمود علي مكي، ٧-١٢٨.

(٢) المقتبس،تحقيق:د.محمود علي مكي، ١٠٨ .

(٣) ينظر : الصلة : ابن بشكوال ، ١٣٨، رقم ٣٤٦ ؛ وفيات الاعيان ، ابن خلكان ، ٢/٢١٨-٢١٩ ؛ مقدمة د. محمود علي مكي لكتاب المقتبس ، ٨-١٦ .

(٤) الصلة ، ١٣٨، رقم ٣٤٦.

(٥) المغرب في حلى المغرِب:١/١١٧ ، وينظر : مقدمة د. محمود علي مكي لكتاب المقتبس ، ٤٩.

(٦) تاريخ النقد الأدبي عند العرب : د. إحسان عباس ، ١٢٧، ٣٦١-٣٦٢ .

الطبع والصنعة :

وقد أكثر من القول في الطبع والصنعة عند الشعراء الذين وقف على حيواتهم مفضلا الطبع على الصنعة ومستجيدا حسن الصنعة ، فنجده يقول عند وقوفه عند حياة ابن مروان بن الحكم المعروف بالعرواني -وربما تكون المرواني-[1] "كان من ملأ أهل الأدب في زمانه ومن جل قريش في نصابه ، كان من الشعراء المفلقين [2] المطبوعين وممن عنى [3] على ذلك بطلب العلم ورواية الحديث في ضروب الأدب وحفظ النحو واللغة"[4] .

وإذا تأملنا هذه المقولة وجدنا أن ابن حيان يرى أن الطبع يتأتى به إظهار براعة الشعر إذا كان مدعوما بأدوات أخرى منها:

أولا : طلب العلم ، ثانيا : رواية الحديث ، ثالثا : التفنن في ضروب الأدب ، رابعا : حفظ النحو واللغة

وإذا رجعنا إلى عيار الشعر لابن طباطبا (ت٣٢٢هـ) لوجدنا انه يجعل للشعر أدوات قبل مراسه قريبة ومكملة لما ذكرها ابن حيان فيحدد ابن طباطبا تلك الأدوات بما يأتي :

أولا : التوسع في علم اللغة ، ثانيا : البراعة في فهم الإعراب ، ثالثا : الرواية لفنون الأدب، رابعا : المعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبهم ومثالبهم ، خامسا : الوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر والتصرف في معانيه وفي كل فن قالته العرب فيه ...الخ[5] ثم بعد أن يأخذ بهذه الأدوات يبدأ الشاعر بنظم الشعر سواء أكان ذا طبع أو صنعة [6].

ويمكن أن يكون ابن حيان قد اطلع على كتاب (عيار الشعر) لكثرة ما كان من تبادل للمعلومات والثقافات بين البلدان آنذاك إذ ان ابن طباطبا من اصبهان توفي (٣٢٢هـ) وان كان ابن طباطبا في عيار الشعر قد أطال فلأن ذلك من صميم عمله في هذا الكتاب النقدي أما ابن حيان كونه مؤرخا فكان يذكر هذه اللمحات النقدية على عجالة لكنها عجالة تشف عن رؤية نقدية كان يمكن أن يكون لها باع واسع إن خص ابن حيان كتابته فيها .

---

(١) (لا نحبذ ان نثقل هوامش البحث بالتعريف بالشخصيات التي يذكرها أبو مروان بن حيان في كتاباته وارائه النقدية ، ولمن يريد التعرف عليها يرجع إلى الصفحات التي استذكرها من كتابات ابن حيان المبثوثة في هذا البحث وقد اشار محققوا كتبه إلى مصادر أخرى للتعريف بكثيرين منهم).

(٢) شاعر مُفلِق : مجيد يجيء بالعجائب في شعره ، وافلق في الأمر إذا كان حاذقا به (لسان العرب ،مادة (فلق) ١١٢٩/٢)

(٣) عَنَتْ الأرض بالنبات اظهرته ، وعنوت الشيء اخرجته (لسان العرب مادة (عنا) ٩١٢/٢) .

(٤) القسم الثالث من كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس لأبن حيان ، عني بنشره ملشورم انطوانية ، ٤٦.

(٥) ينظر: عيار الشعر، ٤٢ .

(٦) نفسه: ٤٣ .

فضلا عن هذا فقد كان ابن حيان يوكل سهولة القول إلى الطبع ، فقال في عبيد يس ابن محمود الكاتب الشاعر "كان من جملة كتّاب القصر ، وله أدب عزيز وطبع معين مال به إلى قول الشعر فحكم له بالتجويد .. وقد كان سلف له من أول نبغته في الشعر قول كثير في الأمير عبد الله وكان مطبوعا يسهل القول عليه" [١].

وكان كثيرا ما يمدح ذوي الشعر المطبوع مثل مدحه لابني ابراهيم بن عبد الرحمن المعروفين بابني المصنوع إذ يقول فيهما "كانا من أهل الأدب الرصين والشعر المطبوع"[٢]، وفي مقدم بن معافر القبري يقول في أول كلمة يعرفه بها انه "كان مطبوعاً سلس المقادة حسن الديباجة ..."[٣]، وذكر اسم (معافر) وليس (معافي) هذا ولم يشر أية إشارة إلى كونه وشاحاً أو مخترعاً للموشح كما ذكره الحجاري[٤] ، وكذلك في مدحه سعيد بن عبد ربه ، قال : " وكان يضرب في صوغ الشعر بنصيب وافر وكان مطبوعا" [٥] وهو ابن أخ الشاعر المشهور أبو عمر بن عبد ربه .

وقد شبه ابن حيان الشاعر أبا مروان الجزيري الأندلسي (٣٩٤هـ) بمحمد بن الزيات باتفاقهما فيما يتفقان به من عبقرية الطبع إذ يقول : "وكان في ذكائه وأدبه مع عبقريته (عبقرية) الطبع وكثرة الضر وقلة النفع محمد بن الزيات[٦] في ذلك الصقع"[٧]. وكان أبو مروان الجزيري لطبعه في الشعر يقول على البداهة دون تنقيح أو تشذيب حتى أن المنصور طلب منه ومن ابن درّاج ارتجال الشعر في فتح شنت ياقب فيروى أن الجزيري قال : سمعا وطاعة أما ابن دراج فرفض الارتجال الفوري لكونه قد عرف بتنقيح شعره ([٨]).

و إن دل هذا النقد والمقارنة بين الشاعرين على شيء فإنما يدل على سعة اطلاع ابن حيان على كتابات الأدباء ، والتمعن فيها ، وتحليلها ثم نقدها فيذكر المحاسن والمساوئ على السواء غير مجاملٍ ولا متوجسٍ من لومة لائم .

ولكن تفضيله للطبع وإطراؤه له لم يجعله رافضا للصنعة ، إذ يقول "ومنهم من صحب السلطان ونال الجاه وشهر بصناعة الأدب ورصانة الشعر وجودة الوصف ورقة النسيب

([١]) القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ٤٤ -٤٥ .

([٢]) نفسه ، ٤٦ .

([٣]) نفسه ، ٤٦ .

([٤]) ينظر : الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢ -٨٩٧هـ) : د. منجد مصطفى بهجت، ٢٤٧ -٢٤٨،وهامش(٢)،٢٤٧ .

([٥]) القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ٤٧ .

([٦]) محمد بن الزيات هو : محمد بن عبد الملك وزير المعتصم والواثق العابسين ، علم اللغة والأدب من بلغاء الكتاب والشعراء (ت٢٣٣هـ) الاعلام : ج٦/٢٤٨ .

([٧]) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : لابن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ) : ق٤/مج١/٥٢ .

([٨]) جذوة المقتبس ،١١٢ ضمن التعريف بابن دراج رقم ١٨٦.

والتصرف في أنواع الشعر والاقتدار على الترسيل"[١] . فهو بهذا لا يرفض الصنعة للأدب التي يحسن الأديب فيها ويكبر ابن حيان شهرة صاحبها بها .

وفي موضع آخر من الكتاب نفسه نجده لا يستنكر الصنعة إذا أجاد صاحبها فيقول في ابن جودي أحد أدباء الملوك من أهل الأندلس أنه كان " يضرب في صنعة الشعر بسهمة وافرة ويصرف من سبله بكل منيعة ذكر عنه انه سمع يوما منشدا ينشد قول أبي قيس ابن الأسلت :

قد حصت البيضة رأسي فما اطعم يوماً* غير تهجاعي
أسعى على حل بني مالك كل امرئ في شأنه ساعي

فقال معارضا له على البديهة :

الدرع قد صارت شعاري فما ابسط حاشاها لتهجاعي
والسيف ان قصَّرهُ صانع طوَّله يوم الوغا باعي
وما كميتي له بمستصغر إذا دعاني للقاء داعي
هذا الذي اسعى له جاهدا كل امرئ في شأنه ساعي"[٢]

وهو بهذا التعريف بابن جودي يمدح فيه حسن صنعته للشعر غير رافض للصنعة إذا أحسن الشاعر التصرف كما انه لم يرفض معارضة الشعراء بعضهم لبعض إذا أجاد الشاعر ذلك مضيفا لقبولها كونها معارضة جاءت على البديهة فهذا مما يحمد للشعراء .

لكنه مع هذا يكره الصناعة المتكلفة إذ نجده ينتقد أبا القاسم ابن الافليلي أحد علماء اللغة البارزين الذي استكتبه محمد بن عبد الرحمن المستكفي بعد ابن برد ، فوقع في كلامه جانبٌ من البلاغة ، وكان فيه حسبما وصفه ابن حيان على طريقة المعلمين المتكلفين ، فلم يجر في أساليب الكتاب المطبوعين فزهد فيه المستكفي [٣].

البديهة والارتجال:

كان ابن حيان يحث على البديهة والارتجال اللذين يقودهما الطبع بعيدا عن الصناعة فهو يذكر أن ابن شهيد الأندلسي الشاعر المعروف (ت٤٢٦هـ) "كان يدعو قريحته إلى ما شاء من نثره ونظمه في بديهته ورويته ، فيقود الكلام كما يريد من غير اقتناء للكتب ولا اعتناء بالطلب ، ولا رسوخ في الأدب ، فانه لم يوجد له رحمه الله – فيما بلغني بعد موته كتاب يستعين به على صناعته ، ويشحذ من طبعه الا ما لا قدر له، فزاد ذلك من عجائبه وإعجاز بدائعه ، وكان في تنميق الهزل والنادرة الحارة اقدر منه على سائر ذلك ، وشعره

---

(١) القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ص٤٥ .
(٢) نفسه ، ١٢٣-١٢٤ ،*وقد وردت في رواية أخرى (اطعم نوماً) ينظر:نفسه: هامش(٣)،١٢٣.
(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١/مج١/٢٤٠-٢٤١ .

حسن عند أهل النقد ، وتصرف فيه تصرف المطبوعين ، فلم يقصر عن غايتهم"[١] . وقد عاصر ابن حيان هذا الشاعر الاندلسي وكان صديقا مقربا له ويعد ابن شهيد من أشهر نقاد عصره فضلا عن ضلوعه في الشعر [٢].

ولكن مما كان يكرهه ابن حيان أن يجد من يقول الشعر السيئ فلا ينفعه طبع ولا صنعة فيه فيهجوه وينتقد شعره نقدا لاذعا ، من ذلك قوله مقارنا بين أشعار بضعة شعراء في إحدى احتفالات الأمراء في عصر الفتنة :"وأما المتكلف المصري فُسكُل الحلبة [٣] ، فكان أبطأهم جراءً وأنآهم عن الغاية فما يعنه عليه (قول الشعر) طبع ولا أسعدته صنعة"[٤].

بواعث الشعر :

لقد اشار ابن حيان إلى ما قد يؤثّر في الشاعر فيجعله يجيد نظم الشعر ويحنكه، إذ يقول في ذكر المستظهر بالله ابي المطرف عبد الرحمن :"كان عبد الرحمن هذا لبقا ذكيا ، واديبا لوذعيا ، لم يكن في بيته يومئذ ابرع منه منزلةٌ ، وكان قد نقلته المخاوفُ، وتقاذفت به الأسفار ، فتحنّك وتخرَّج وتمرَّن فيها"[٥].

فجعل الاسفار هي التي تحنك صاحبها وتبعثه على ان يكون اديبا لوذعيا كما حبّ ان يصفه .

هذا وانه يحيل التنوع في قول الشعر إلى طبع الشاعر ، إذ يقول في المنذر بن عبد الرحمن: "كان من اهل العلم البارع والفهم الثاقب والقيام على العربية واللغة التصرف في قول الشعر خلا ان طبعه مال به منه إلى فن الهزل والاغراب في ذكر مالم يسبق إليه ففلح في ذلك وغرف ، فإذا جد أحكم واعتدل"[٦]

فطبع الشاعر يقوده إلى ما يميل إليه من فنون الشعر فالمنذر بن عبد الرحمن كان أميل إلى الهزل والإغراب لكن إذا جد أحكم واعتدل عن الهزل .

---

(١) نفسه ق١ /مج١/١٩٢ ، وينظر : مقدمة الدكتور محمود علي مكي لكتاب المقتبس ، ص١١٠ .

(٢) ينظر : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس : د. محمد رضوان الداية ، ٢٩٣ -٣٠٦ ، اتجاهات نقد الشعر في الاندلس في عصر بني الأحمر ٦٣٥ -٨٩٧هـ : د. مقداد رحيم ، ١٢ .

(٣) الفِسْكِل والفُسْكُل والفِسْكول والفُسكول : الذي يجيء في آخر الحلبة آخر الخيل (لسان العرب مادة (فسكل) ،٢/ ١٠٩٦).

(٤) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ق٤/مج١/١٤٠ .

(٥) نفسه ، ق١/مج١/٤٨ .

(٦) القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ٤٥ .

وفي موضع آخر يحيل إجادة المديح للمرح ؛ إذ يقول في احد الشعراء : "قد انطلق مرح العنان فأجاد المديح وتصرف في الأفنان"[١] والتصرف في الأفنان ضمن قصيدة مديح مما كان يحمده النقاد العرب القدماء [٢].

وفي موضع ثالث يوكل التقدم في الخطبة لمبارك مقارنة بمظفر إلى صرامة الطبع للأول منهما فيقول:"ان لمبارك كان التقدم في المخاطبة هنالك في حقيقة رسوم الإمارة ، لفضل صرامة ونكراء كانتا فيه ، يقصّر فيهما مظفر لدماثة خلقه ، وانحطاطه لصاحبه في سائر أمره ورضاه بكل فعله"[٣] ، فصرامة الرأي مع الاقتناع واقتناع الآخرين به مما يُحسب للخطيب ويعلي مكانته.

وفي هذه البواعث لقول الشعر والخطب نظرات نقدية وجيهة غير ما عرف عند العرب القدماء من البواعث المنحصرة في (الرغبة والرهبة والطرب والغضب)[٤]، وغير ما عرف عند القرطاجني من تحديده لأمهات الطرائق الشعرية بأربع هي "التهاني وما معها والتعازي وما معها والمدائح وما معها والاهاجي وما معها وان كل ذلك راجع إلى ما الباعث عليه الارتياح ، والى ما الباعث عليه الاكتراث والى ما الباعث عليه الارتياح والاكتراث معا"[٥]. فآراء ابن حيان في بواعث الشعر تشهد له بنظراته الشخصية النقدية الفاحصة كما ان ابن حيان كثيرا ما يذكر فضل الممدوح على الشعراء المداحين له ، ويعده أفضل باعث على قول الشعر إن كان مكرماً لهم ومقتربا منهم ، من ذلك قوله في حديثه عن ديسم بن اسحق أن: "له أفضال على الشعراء والأدباء ، فلهم فيه مديح سائر ، وكان من احمدهم لانتجاعه ، وانطقهم بشعره عبيد يس بن محمود الشاعر وشعره فيه كثير مستحسن"[٦].

وقد أشار إلى ذلك أيضا في قوله عن أحمد بن إبراهيم بن قلزم بأنه "كان ملحقا في الديوان فكان الغزو يلحقه فيحمل القائد احمد بن محمد بن ابي عبدة كل السفر عنه ويقوم بمؤونته ذاهباً وجائياً ويحسن إليه فيحسن احمد بن ابراهيم مدحه ويكثر القول"[٧].

---

(١) نفسه ،٤٢.

(٢) ينظر:العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) : محمد محيي الدين عبد الحميد، ١/١٢٠ .

(٣) الذخيرة، ق٣/مج١/١٥.

(٤) ينظر:العمدة ، ١/١٢٠ .

(٥) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة ، ٣٤١ ؛ وينظر: نقد الشعر في الأندلس قضايا ومواقف: د.مقداد رحيم ، ٢٢ -٢٥ .

(٦) القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ٩.

(٧)القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ٤٧ .

وعلى خلاف ذلك نجده ينتقد أحد ملوك الأندلس الذي لم يذكر ابن بسام اسمه[١]، إذ لبخله ابتعد عنه الادباء فيقول "وكان فلان من البخل بالمال ، والكلف بالإمساك، والتقتير في الإنفاق بمنزلة بذَّ فيها ملوك عصره، لم يرغب قط في صنيعة، ولا سارع إلى حسنة، ولا جاد بمعروف، فما أُعمِلتْ إلى حضرته مطيّة، ولا عرّج إليه أديب ولا شاعر، ولا امتدحه ناظم ولا ناثر، ولا حظي أحدٌ منهم بطائل"[٢]وهذا خلاف أغلب الأمراء والخلفاء في الأندلس الذين عُرف عنهم انهم كانوا يقربون الأدباء منهم ويسرفون في البذخ عليهم لإغرائهم في المدح وكف ألسنتهم عنهم، وقد أفاض الدكتور محمد رضوان الداية في حديثه عن ذلك[٣].

أثر الأدب في المتلقي :

كما ان ابن حيان انتبه إلى المتلقي لا إلى الشاعر فحسب ، فحتى إن أحسن الشاعر لم يتلق الرضا من المتلقي إن كان الأخير غير مهتم بالشعر ولا محبذا له ، فهذا هشام بن محمد الناصري امير قرطبة يقول فيه ابن حيان :"غدا الملأ عليه ، ووصلوا على مراتبهم إليه ، وهو بمجلس الخلافة ، فظهر منه ليومه عيّ في القول ، احتاج إلى عبارة بعض الاكابر عنه ، وانشده من حضر من أدباء الوقت ، فلم يهزّه شيء من ذلك لنبوّ طبعه..."[٤].

فانتبه إلى المتلقي إذ ان نبو طبعه لم يجعله مهتماً لما يقال من شعر وخطب. وفي المقابل يشير ابن حيان في موضع آخر إلى أن نبو الطبع لا يصلحه الأدب إذ يصف أحد الكتاب بقوله:"وفلان ساذج الكتابة ، بيّن الجهل والتخلّف، طلق اللسان بالخنا[٥] والهجر، أحد الأفسال من أولي النَّباهة ، عظيم البطالة والباطل، ومن كل حلية جميلة عاطل، من رجل عيّ اللسان ، مثلوم الجنان فدم الخلقة ، طويل اللحية متهافت، لم يرهف الأدب طباعه، ولا استخرج منه كلمة حكمة"[٦].

فلم يبق ابن حيان نقيصة إلا أوكلها لهذا الكاتب منتقدا كتاباته وأسلوبه ، في حين يقف الدكتور حازم عبد الله خضر على جمالية اسلوب ابن حيان في هذه القطعة موضحا ان ابن

---

(١) يقول ابن بسام في نقل كلام ابن حيان :"هذه فصول مقتضبة من طويل كلامه في تاريخه، وكنّيتُ عن أكثر من به صرح، واعجمت باسم من به اعرب وافصح ؛ رغبة بكتابي عن الشين ، وبنفسي عن ان اكون احد الهاجيين ، الا في بعض اخبار ملوك الطوائف لما تعلق بذكرهم من فنون المعارف" الذخيرة، ق١/مج٢/٥٨٦ .

(٢) الذخيرة : ق١/مج٢/٥٨٧-٥٨٨ .

(٣) ينظر : تاريخ النقد الادبي في الأندلس : ٥٠-٥٢.

(٤) الذخيرة : ق٣/مج١/٥١٦ .

(٥) الخنا: من قبيح الكلام وافحشه (لسان العرب مادة (خنا) ، ١/ ٩١٥).

(٦) الذخيرة : ق١/مج٢/ص٥٩٥ .

حيان يتبع فيها منهجا وسطا ينوع فيه بين الفن البياني والصناعة اللفظية وبين اداء المعنى المطلوب [١].

كما أن لابن حيان وقفة أخرى عند المتلقي وأثره في الشاعر وقول الشعر توحي بنظرته التحليلية الثاقبة وتعليله الأمور ، إذ نجده يوكل قلة شعر المديح في مجاهد العامري احد ملوك الأندلس لكثرة وقوفه عند هنات الشعراء وسرقاتهم ، إذ يقول : "كان مجاهد فتى امراء دهره ، واديب ملوك عصره ، لمشاركته في علم اللسان ونفوذه في علم القران ... على انه كان –فيما بلغني- مع ادبه من ازهد الناس في الشعر ، واحرمهم لأهله ، وأنكرهم على منشده ، لا يزال يتعقبه عليه كلمة كلمة ، كاشفا لما زاغ فيه من لفظة وسرقة ، فلا تسلم على نقده قافية ، ثم لا يفوز المتخلّص من مضماره ، على الجهد لديه بطائل ، ولا يحظى منه بنائل ، فأقصر الشعراء لذلك عن مدحه، وخلا الشعر من ذكره"[٢] . فللمتلقي في هذين الشاهدين أثر سلبي على الشعر وقوله .

وهذا الكلام عن مجاهد العامري ووقوفه عند السرقات يقودنا إلى معرفة مدى اهتمام ابن حيان بهذا الموضوع .

السرقات الشعرية:

لم يسكت ابن حيان عن ذكر من عرف بسرقاته الأدبية فكشف سرقات الشعراء من مجاهد العامري أدى إلى ابتعاد المداحين عنه وقلة شعر المديح فيه .

ومن ذلك أيضاً قوله:

"كان محمد بن الكتاني المتطبب ... متحيلاً كثير الترقيح[٣] والاستعمال لضروب من الكذوب (وزور المقال) ، فربما انشأ عدة رسائل فينحلها القيانَ ، ويبيعهنَّ بأغلى الاثمان"[٤].

وهذا يدل على اهتمام ابن حيّان بكشف السرقات والاشارة والتنويه إلى من عرف بها. ونجده في موضع آخر يرجع ابياتاً شعرية إلى أصلها ويبين مصدرها إذ يقول في بيتين شعريين لأحد الكتاب المكنى بأبي محمد في بلوط الأندلس وقد أعجبه ففاضل بينه وبين تمر الحجاز وذكر ناقته ووطنه فقال :

تحن إلى البلوط حتى إذا أتت بلادا بها البلوط حنت إلى النخل
لقد أذكرتني اذرعات وهيجت غرام فؤاد سرمد الخفق والخبل

---

(١) أبو مروان بن حيان اديبا وكاتبا ، مجلة اداب الرافدين ، ع٢١ ، ١٩٩٠، ٤٢ -٤٣ .
(٢) الذخيرة : ق٣/مج١/٢٣ .
(٣) الترقيح : الاكتساب ، وترقّح لعياله : كسب وطلب واحتال (لسان العرب ، مادة (رقح) ، ٢/ ١٢٠٥).
(٤) الذخيرة ، ق٣/مج١/٣١٩-٣٢٠.

قال أبو مروان حيان بن خلف هذا عندي منقول من قول أعرابية بدوية رجحها هويّها بين أرطى [١] بلادها وبين نخيل إذا انتجعه بها زوجها فقالت :

ألا من لقلبٍ لا يـــــزال مكلفـــــــا تزيل ما بين القرينة والخبلِ

تحنّ إلى الأرطاة حتى إذا اتى بلادا بها الارطاة حنّ إلى النخل[٢]

وهذا يدل على دقة ملاحظة ابن حيان وسعة اطلاعه على الأدب واهتمامـــه بكـــشف النقل من شعر الغير ، وإن كان لا يعلق على هذا الأخذ لا بسلب ولا إيجاب .

كما نجده في موضع آخر يذكر أبياتاً لعبيد الله بن يحيى بن إدريس في تهنئة الأميـــر عبد الله في شعر يقول عنه ابن حيان "حسن له أرق فيه النسيب وخرج إلى المـــديح"[٣] ثـــم ذكر الأبيات ومنها بيت يقول فيه :

هذا النجاح امام المسلمين وذا هو القفول الذي أوفى بعيدين

وبعد انتهاء الابيات يعلق عليها ابن حيان فيقول:"وهي طويلة وعنا بقوله هذا النجـــاح البيت شعر عباس بن فرناس في قفول الامير محمد عن طليطلة موافقا للعيد حيث يقول:

ان القفول الذي اوفى بعيدين

إذ كان الفتح على ابن مستنة وافى الأمير عبد الله في قرن مع عيد الاضحى سنة ست وتسعين ومائتين"[٤].

ولقد وقف العديد من النقاد القدماء والمعاصرين لابن حيان علـــى مـــسألة الـــسرقات الشعرية وقد افرد ابن طباطبا (ت٣٢٢هـــ) بابا لذكرها وهو ممن يمكن ان يكون قد اطلـــع ابن حيان القرطبي (ت٤٦٩هـــ) على آرائه فيها إذ لم يستهجن الكثير منها إذا أحسن التـــالي الأخذ من المتقدم [٥]، وربما يعلل ذلك عدم استهجان ابن حيّان أخذ الشعر من الشعراء.

ولابن حيان وقفات نقدية يتبين من خلالها قبوله للمعارضات الشعرية أو النقـــائض إذ يذكرها دون استهجان لها مثل قوله في عبيد الله بن يحيى بن ادريس الخالدي انه "جارى ابن عبد ربه فلم يبعد عن تجويده ، وكان يعارضه كثيرا في حسان قـــصائده ولا يقـــصر عـــن مداه"[٦].

وكذلك في ذكره لابن جودي "انه سمع يوما منشدا ينشد قول ابي قيس ابن الاسلت:

---

(١) الارطى: شجر ينبت بالرمل وهو شبيه بالغضا ينبت عصيّا من أصل واحد يطول قدر قامة ولـــه نـــور ورائحته طيبة واحدته ارطاة (لسان العرب ، مادة (ارط) ،١/ ٤٨) .

(٢) القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ١٣٢ .

(٣) القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ١٤٣ .

(٤) نفسه ، ١٤٤ .

(٥) ينظر : عيار الشعر ، ١١٢ -١١٨ .

(٦) القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ٤٤ .

قد حصت البيضة رأسي فما اطعم يوماً* غير تهجاعي
اسعى على حل بني مالك كل امرئ في شأنه ساعي
فقال معارضا على البديهة :
الدرع قد صارت شعاري ابسط حاشاها لتهجاعي
إلى اخر الابيات غير معلق عليها [١]

ولم يستهجن النقائض إذ ذكر ان "من مشهور قول الاسدي الذي رد فيه العبلي وناقضه في كلمته التي اولها :

قد انقصفت قناتهم وذلوا وزعزع ركن عزهم الاذل
فقال الاسدي :
قد احتل الأحبة واستقلوا لطيتهم بليل واحزالوا"[٢]

وبعدها ذكر خمسة ابيات غير معلّقٍ عليها ولا مستهجنٍ لها.

المقارنة بين الأدباء :

ويمكن أن نضيف إلى امتلاك ابن حيان الذائقة الأدبية والنقدية وقوفه عند عدد من الأدباء وإجراء المقارنات بينهم وبين غيرهم على وفق نظرة متأنية ، من ذلك قوله في ابن شهيد :

"وإذا تأملتَه ولسَنَه ، وكيف يَجرُّ في البلاغةِ رسَنَه ، قلت عبدُ الحميد في أوانِه ، والجاحظُ في زمانه"[٣]، فهو بهذه المقارنة بين الأدباء يدلل على سعة اطلاعه على كتابات السابقين ومقارنتها باللاحقين .

كما نجده في موضع آخر يقارن بين ابن الجزيري الشاعر الأندلسي وبين الزيات [٤]. ونجده أيضاً يقارن بين الشاعر الذي كان يزعم انه مصري وبين ابي تمام في ذكره النسيب اذ انه "صرَّفَ النسيبَ في ستٍ من الخُلّاتِ مُسمّيات ، فَضَل فيهنّ إمامَ المُحدثين ابا تمام بزيادة اثنتين"[٥] وهو بهذا يومئ إلى تقليد هذا الشاعر لابي تمام مع تفضيل ابي تمام عليه ، إذ أن ابن خليفة الأندلسي المدعي بأنه مصري قد تغزل بست نساء في نسيبه ، بينما ابو تمام قد ذكر اربع نساء في نسيبه مشيرا إلى قوله :

---

(١) نفسه ،١٢٣-١٢٤ ،*وقد وردت في رواية أخرى (اطعم نوماً)ينظر:هامش(٣)،١٢٣.
(٢) القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ٦٤ واحزألّت الإبل إذا اجتمعت ثم ارتفعت عن الأرض "لسان العرب المحيط،ج٦٣٦/١ مادة(حزل)"وهنا خففت للضرورة.
(٣) الذخيرة ، ق١/مج١٩٢/١ .
(٤) ينظر: نفسه: ق٤/مج٥٢/١ (وقد تقدم التعريف بالزيات في الصفحات السابقة).
(٥) نفسه :ق٤/مج١٤١/١ .

لِسَلمى سَلامانٍ وعَمرةٍ عامرٍ وهند بني هندٍ وسُعْدى بني سَعدِ[١]

وفي موضع اخر يفضل ابن سهل الاسرائيلي على ابراهيم الموصلي في حسن الحانه بقوله في ذكر احد احتفالات المأمون بأنه "قد مُدَّت ستارة الغناء لأهل الحجاب، ونظمتْ نوبة المغنين زُمرا ، فهاجوا الإطراب ، واستخفوا الالباب ، ونقلوا الطباع فجاءوا بأمرٍ عُجاب ، بذّهم فيه سابِق حلبتهم ، المُحسّد من جماعتهم ، الإسرائيلي ذي ، الزائدُ إحسانه على ابراهيم الموصلي ، صديقُ ابليس ، الظريفُ في فتنته ، وتخايله بالماخوريّ المكنون، الذي اغتدى في باطله نسيج وحده ، يزدهي العيدانَ جسه ، ويُخرسَ الأطيارَ شَجوه، قاتله الله من آخذ بالقُلوب ! فطربوا وطرب المأمونُ ليلتئذ على وفور حلمه"[٢].

فابن حيان لديه ذائقة موسيقية أيضا إذ ان هذا القول يدل على باع له في سماع الموسيقى وتذوقها والحكم بين ألحانها وذكر أنواعها كالماخوري الذي هو "لون من النغم وتعد الانغام الماخوريات من خفائف الثقيل الثاني"[٣].

كما وجدناه أيضا يقارن بين هجاء القلفاظ وابن عبد ربه ويذكر ان هجاء القلفاظ امس من هجاء الثاني منهما[٤].

وفي موضع آخر يقارن بين عبد الملك بن جهور الوزير وعبد الملك بن عمر بن شهيد الوزير فيقول في التعريف فيهما "كلاهما شاعر محسن واديب بارع ولابن جهور منهما الشفوف على صاحبه بغزارة قوله وندرة بدائعه"[٥]، والمقارنة بين شاعرين أو أكثر يثبت فيهما الناقد دقة اطلاعه ومتابعته لشعرهما أو لشعرهم وقد كانت المفاضلة بين شاعرين أو أكثر محوراً يدور حوله كثير من النقد القديم[٦] ، وجعل ابن حيان غزارة شعر ابن جهور وندرة بدائعه سببين يتفوق فيهما على ابن شهيد وكلاهما معاصرين له و شاعر وزير عاشا في عصر واحد ، مفضلا ابن جهور على صديقه ابن شهيد مما يدل على صدق آرائه واعتداله فيها.

ولم يكن تفضيله لأحد الأدباء على غيره قائما على عنصرية بيئية أو قبلية ، إذ رغم كون جل كتاباته قائمة على ذكر أهل الأندلس ، لكنه لم يكن غابناً للطارئين عليها في المقارنة بين أدبائها ، إذ نجده كثيرا ما كان يعلي من شأن الشاعر طاهر بن محمد البغدادي

---

(١) ديوان ابي تمام ،بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد عبده عزام ، مج ٢ /١١٨ (القصيدة٥٧) ؛ وينظر: تعليق د.احسان عباس في كتاب الذخيرة: ق٤/مج١/١٤٠ .

(٢) الذخيرة ، ق٤/مج١/١٣٥ -١٣٦ ؛وينظر: (أبو مروان بن حيان القرطبي وتاريخ الأندلس في قراءة جديدة) : د.عائشة عبد الرحمن ، مجلة المناهل ، المغرب، ع٢٩، س١١، ١٩٨٤، ٤٩، هامش ٢٧.

(٣) الذخيرة ، ق٤/مج١/ ١٣٦ الهامش.

(٤) القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ٤٢ .

(٥) نفسه ، ٤٩ .

(٦) ينظر: تاريخ النقد الادبي عند العرب : احسان عباس ،٨٧، ٥٦٨ .

المعروف بالمهند [١] ، فقد ذكر ابن حيان من جملة ما ذكر عنه وهو يصف الاحتفالات التي أُقيمت في قرطبة في عهد الخليفة المستنصر بالله في عيد الفطر ، "وظلت الخطباء والشعراء في هذا الحفل تناغي[٢] فيما ترتجل من خطبها وتنشد من أشعارها فتكثر وتجيد ، وكان أول من قام فيه من الشعراء منشدا بين يديه كبيرهم طاهر بن محمد البغدادي المعروف بالمهند"[٣] فقد وصفه ابن حيان بأنه كبير الشعراء ، ثم نقل عنه ثمانية أبيات اختارها مما قال وهو من أولاد الخطيب البغدادي صاحب كتاب تاريخ بغداد[٤].

وقد لقبه في موضع آخر يقارن بينه وبين غيره من الشعراء بأنه (شيخهم)[٥] ، وفي غيره يقدمه على الشعراء الآخرين بقوله (مقدَّمهم) بقوله في وصف الاحتفال بعيد الفطر "وقامت خلاله الخطباء والشعراء مرتجلين منشدين ، فأكثروا واطالوا واجادوا ، فكان من احسن ما انشد به الشعراء يومئذ قول مُقدّمهم طاهرُ بن محمّد البغدادي المعروف بالمهند في شعر له مطول"[٦] ثم ذكر له ثمانية وعشرين بيتا ثم ذكر بعده الشاعر مُحمّد بن شُخَيْص واصفاً ايّاه بـ(رسيله) في قوله: "ثم قام بعده رسيله محمَد بن شُخَيْص منشدا شعرا له مطولا انحى فيه على بني حسن الموقومين بقهر الخليفة لهم ، فأسرف في ذلك"[٧] فكان ابن حيان يكره الاسراف والاطالة في المعنى الواحد ، فهو لم يكن كارها للشاعر محمد بن شخيص لكنه كره الاسراف والتكرار ، اذ نجده في موضع اخر يلقبه بأنه سابق الحلبة في مقارنته مع غيره من الشعراء ، وذلك في قوله واصفا الاحتفال في عيد الاضحى لسنة اثنتين وستين وثلاثمائة : "وظلت الخطباء ترتجل والشعراء تنشد مسحنفرين [٨] على العادة ، فكان من ابرع من قام يومئذ منشدا شعره محمد بن شخيص سابق الحلبة ، فأنشد شعراً طويلاً حسنا له سبق فيه الى ذكر فتح حصن الكرم من أرض العُدْوَة على المارق حَسَن بن قَنّون"[٩] فقد فضّل ابن حيان محمد بن شخيص عن غيره من الشعراء وجعله (سابق الحلبة) ثم ذكر سبب التميز لسبقه الى معنى لم يذكره غيره ممن سبقه، اذ جعل حكمه بالسبق معللا بسبب مقنع

---

(١) تنظر ترجمة حياته في جذوة المقتبس للحميدي، ٥١٥ ؛ وبغية الملتمس رقم ٨٥٩، ٣٦٣ ؛ المقتبس في اخبار بلد الاندلس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، ٣١ ؛ المقتبس في اخبار بلد الأندلس، شرح: د. صلاح الدين الهواري ، ٢٠، هامش ٣.

(٢) النُغية ما يعجبك من صوت أو كلام (لسان العرب،مادة(نغي)،٦٨٢/٣).

(٣) المقتبس في اخبار بلد الأندلس، شرح :صلاح الدين الهواري ، ٢٠ .

(٤) ينظر:جذوة المقتبس،٢٣٧؛ بغية الملتمس،٣٢٦.

(٥) ينظر:المقتبس في اخبار بلد الأندلس تحقيق عبد الرحمن الحجي ،١٢٠ ؛ المقتبس في اخبار بلد الأندلس،شرح الهواري،٩ .

(٦) المقتبس في أخبار بلد الأندلس،شرح الهواري، ١١٩.

(٧) نفسه ، ١٢٠ .

(٨) اسحَنفَر الرجل في منطقه :مضى فيه ولم يتمكّثْ (لسان العرب،مادة(سحفر)،١٠٨/٢).

(٩) المقتبس في اخبار الأندلس ، شرح الهواري ، ١٠٤ .

يدل على رؤية نقدية فإنه وكما ذكر دوزي : "يبدي رأيه فيما يعرض من القضايا ، ويبحث عن أسباب الأشياء ويناقشها عن علم وفهم وذكاء"[١].

اختيار الأبيات الشعرية :

نصَّ ابن حيان على هذا الاختيار وبينه في كثير من المواضع منها تلك الوقفة التي تكلم فيها عن شمول عدد من الشعراء بين يدي المأمون ابن ذي النون احد أمراء الأندلس في عصر الفتنة في مجلس انس فيقول فيهم: "تقدمهم ابن شرف فانشد قصيدة أولها "يريني الهوى أن الهوى لين سهل" ، ما إن هي لاحقة بعيون شعره ، أطال فيها التشبيب فخلص الى التهنئة ، وقد استفرغ القريحة وطول فما اتى بطائل"[٢].

من هذا القول يتضح أن ابن حيان كان مطلعاً على قصائد ابن شرف القيرواني الأخرى ففاضل بينها ووجد أن هذه القصيدة لا ترتقي إلى مصافي قصائده ، كما نجده يكره طول الشعر إن كان لا فائدة منه .

ثم يستمر في استعراض آرائه النقدية بشعر الشعراء الآخرين في ذلك المجلس فيقول:"ثم تقدم بعده البائسُ عبد الله بن خليفة الأندلسي المُتمصِّرُ بزعمه ، فيا بؤسى لسابقٍ صلّى بعده ! فانشد قصيدةً ملفقةً ، ذات طنين وقعقعة ، كثَّر أبياتها، وقلّل أقواتها، أولها: "أرى أثلاثِ الجزع بالوصل تورِقُ" تركه المأمون أيضا يتصرَّفُ بها ، ما ان هزّت منه عِطفاً، ولا أبدتْ له بسماً"[٣].

فوصف ابن حيان عبدالله بالبائس ، وبين كذب انتمائه لمصر وهو الاندلسي، ونرى انه أيضا يستنكر طول القصيدة من غير فائدة ورغم طولها هذا فإنه كسابقه لم يذكر له غير اولها ، ثم يذكر عدم تأثيرها على المأمون (المتلقي) الذي ينوه ابن حيان بكونه متذوقا لحسن الشعر ومنتقدا له لكنه لم يتصرف بهذه القصيدة .

ويسترسل ابن حيان في ذكر شعر شاعر اخر في ذلك المجلس بقوله :"وقام بعده محمدُ بن زكي الأشبوني، فأنشدَهُ شعراً أوله "اليوم أبهجَ منْبر وسريرُ" ركب فيها سُنَنَ من قبلَه"[٤].

فلم يطل الوقوف عند استهجان وانتقاد شعر هذا الشاعر وانما اختصر ذلك بقوله (ركب فيها سنن من قبله) .

---

(١) تاريخ الفكر الاندلسي : بالنثيا ، ترجمة: حسين مؤنس ، ٢١١ .
(٢) الذخيرة ق٤/ مج١/١٣٩ .
(٣) نفسه، ق٤/مج١/١٣٩ .
(٤) نفسه، ق٤/مج١/١٣٩ .

ثم بعد هذا يورد ابن حيان بضعة ابيات لهؤلاء الشعراء قائلا : "واكتب اثر هذا الفصل بعض ما اخترته من قصائد هؤلاء الشعراء على ما خيلت لئلا يخلو جيد التأليف من مخشلبها"[١].

فهو اذن كما يورد ابياتا جيدة تثبت شاعرية الشعراء فإنه يورد أيضا غير الجيد منها ليكون صادقا في نقله امينا موضحا ما كان عليه الامر انذاك .

ومما يستغرب بعد ذكر ابن بسام لقول ابن حيان هذا انه قال :"واثبت ابن حيان في كتابه لتلك الطائفة المنشدة يومئذ عدة قصائد ، ولم يسلك فيها سبيل ناقد"[٢]. وقد استوقف ذلك القول لابن بسام الدكتور محمود علي مكي في مقدمة تحقيقه لكتاب المقتبس فرد عليه بقوله :"وليت شعري أي نقد كان يريده ابن بسام احكم ولا اصدق مما قدم به ابن حيان بين يدي ما اختاره؟ مع انه لو كان ابن بسام في هذا المشهد لأقبل يكيل لنا من ذلك (المخشلب) ما لا يطيق قراءته ولا سماعه الا اولوا الحول والقوة بعد ان يصوغ في مدحه ما رأينا مثله من قبل في كلامه ..."[٣] .

ومن الشواهد الأخرى التي تبين ان ابن حيان يستشهد برديء الشعر كما يستشهد بجيده قوله في شعر أحدهم : "وصفه بالشعر ، ثم لم ينشد له منه ما يصدق وصفه، بل انشد ثلاثة ابيات من قصيدة مدح بها ابن اخيه العاصي بن الامير محمد بن عبد الرحمن ليست بطائل والابيات : (من الوافر)

ينادي ماجداً مِن عبدِ شمسٍ كريمَ الفَرعِ مِفضالَ اليدينِ
سما للمكرماتِ فقد حواها بهندي وخطّارٍ رُدَيني
وغيثاً حين يسكبُ لا الثُّريا به حازَت ولا نَوءُ البطينِ

اضطرته القافية إلى أن قَرَن بين أغزَرِ الأنواءِ، وأنزرها، فأَحالَ جداً"[٤] وفضلا عن نظرة ابن حيان النقدية في اختيار الابيات الشعرية التي يذكرها ، فان هذا الشاهد يبين مدى دقته النقدية ؛ إذ انه قد وقف عند المعنى في هذه الابيات وابرز نبوه بالمقارنة بين اغزر الأنواء وانزرها ثم علل ذلك النبو إلى اضطرار القافية لهذه الالفاظ، وقد اثنى ابن الابار على حكم ابن حيان ونقده للشعر هذا [٥].

---

(١)الذخيرة ، ق٤/مج١/١٤٠ .
(٢) نفسه، ق٤/مج١/١٤١ .
(٣) ١١٣؛ وينظر : نفسه ١١١-١١٢ .
(٤) المقتبس من أنباء أهل الأندلس : تحقيق محمود علي مكي ، ١٦٤ ؛وقد ورد البيت الأول برواية اخرى ينظر الحلة السيراء،١/١٣٩:
تُنادي ماجداً من عبدِ شمسٍ زكي الفرعِ مِفضالُ اليدين .
(٥) ينظر : الحلة السيراء ١/١٢٥ .

وقد اشار ابن حيان في عدة مواضع إلى انه يختار بضعة أبياتٍ من قصائد طوال ، أو قصيدة من عدة قصائد في محفلٍ ما ، منها قوله : "وذكرت الشعراء شأن فراق جعفر بن علي واخيه يحيى لسلطانهما معد بن اسماعيل ... فيما مدحت به الخليفة وقت ورودهما عليه فأكثرت وجودت ، فكان من مختار ذلك قول محمد بن شخيص في شعر طويل له اوله:

بأيمن آمال واسعد طائر تباشير محتوم من الأمر واقع[١]

ثم يذكر بعدها أربعة وأربعين بيتا ثم قال :"والشعر في وصف هذا اليوم كثير يطول احكامه"[٢] أو أنه يشير إلى ان ما اختاره هو أحسن ما ذكر في حادثة معينة مثل قوله في وقوف الشعراء بين يدي أحد الأمراء في يوم عيد الفطر : "وكان المحفل يومئذ عظيما قامت فيه الخطباء والشعراء مرتجلين للقول ومنشدين للشعر فكان من أحسن ما أنشد للخليفة قول محمد بن حسين الطبني في قصيدة مطولة حسنة"[٣] ثم ذكر من أولها عشرة أبيات ثم قال "وفيها"[٤]، ثم ألحقها بعشرة أبيات أخرى ، ثم قال "ومنها في ذكر ولده هشام"[٥] وذكر ثمانية أبيات بعدها.

وهو بهذا اختار قصيدة هذا الشاعر من بين عدة قصائد قيلت في المحفل ثم اختار من القصيدة أبياتا معينة تشير إلى دقة اختيار منه.

وكثيرا ما يذكر أنه قد أثبت من الشعر أحسن ما قيل في مناسبة ما معللاً أحيانا ذكرها أو غير معلل[٦] كما أنه في موضع آخر يعلل عدم إيراده لأبيات شعرية وإن استحسنها لئلا يطول كتابه[٧] مقدرا ان كتابته الآن في التاريخ لا الادب ولعله لو اتيح له الكتابة في الادب والنقد لقدم لنا الكثير مما اغفل من ادب الاندلسيين .

تقديم الخطباء على الشعراء :

ومن الملاحظ في قول ابن حيان المذكور آنفاً انه قدم الخطباء على الشعراء ومثل ذلك قوله في موضع اخر واصفا الاحتفالات بعيد الفطر التي أقيمت في قرطبة :"وظلت الخطباء والشعراء في هذا الحفل تناغي فيما ترتجل من خطبها وتنشد من أشعارها فتكثر وتجيد"[٨]

---

(١) المقتبس في اخبار بلد الأندلس ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي ، ٥٤ -٥٥

(٢) المقتبس في اخبار بلد الأندلس ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي، ٥٦ .

(٣) نفسه ٨٢ -٨٣، وفيها تعريف بالطبني.

(٤) نفسه ٨٣ .

(٥) نفسه ٨٤ .

(٦) ينظر: نفسه:١٥٦،١٣٦،٩٤،٣١، ١٨٤ ؛ القسم الثالث من كتاب المقتبس: ٤٨ ؛ المقتبس لابن حيان، ج٥ /٢٢١ ، ٣٩٥ .

(٧) المقتبس لابن حيان، ج٥ /٤٢٣ .

(٨) المقتبس في اخبار بلد الاندلس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ،٣١.

وهو يكرر هذا التقديم للخطباء على الشعراء كلما اجتمع ذكرهما معا[١]، ثم يذكر أبياتا للشعراء دون ذكر خطب الخطباء وهو بهذا يذكرنا بقول ابن شهيد الاندلسي في رسالة التوابع والزوابع :"فقال لي (زهير بن نمير) : حللتَ أرضَ الجن أبا عامر ، فبمن تُريدُ أن نبدأ؟ فقلت : الخطباء اولى بالتقديم ، لكني إلى الشعر اشوق"[٢]، ويمكن أن نستشف تعليل ذلك من كلام أبي عمرو بن العلاء السابق لهما إذ قال:" كان الشاعر في الجاهلية يُقدَّم على الخطيب ، لفرط حاجتهم إلى الشِّعر الذي يُقيِّد عليهم مآثرهم ويفخِّم شأنهم ، ويهوِّل على عدوِّهم ومن غزاهم ، ويهيّب من فرسانهم ويخوِّف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرَهم . فلما كثُر الشِّعر والشعراء ،واتخذوا الشعر مكسبةً ورحلوا إلى السوقة ،وتسرَّعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر"([٣]) .

خلع الألقاب على الأدباء :

ويلقب ابن حيان الشعراء والكتاب بألقاب تشير إلى تميزهم عن غيرهم وتفوقهم في أدبهم من ذلك قوله في الكاتب أبي جعفر وزير زهير : ومن عجبه أنه ... تنقص أديبهم (اديب قرطبة) ابا عامر ابن شهيد ولم يك يصلح مستملياً له [٤].

كما انه كثيرا ما يلقب ابن عبد ربه ويحيى ابن إدريس بزعيمي الشعراء[٥]، وفي موضع آخر يلقب ابن عبد ربه بالشاعر الخنذيذ [٦] أي الشاعر المجيد المنقح المفلق[٧] ،كما انه كان يذكر لقب (النحرير) وهو "الحاذق الماهر العاقل المجرب"[٨].

وكان يطلقه على الكتاب والأدباء مثل قوله في "عبد الله وحامد ابني محمد بن سعيد فكانا كاتبين نحريرين"[٩].

كما انه يذكر هذا اللقب في موضع آخر بقوله :"حفظنا من مشاهير الشعراء ونحارير الأدباء..."[١٠].

([١]) ينظر : نفسه ٩٣ ، ١١٩ ، ١٣٧ ، ١٥٥ ، ١٨٤ ، ٢٣١ .
([٢]) الذخيرة : ق١/مج١ / ٢٤٨ .
([٣]) البيان والتبيين :الجاحظ ، تحقيق:عبد السلام محمد هارون ، ج١/٢٤١ .
([٤]) الذخيرة : ق١/ مج٢ /٦٦٦ .
([٥]) ينظر : المقتبس ، ج٥، تحقيق شالميتر ٣٣٤ ،٣٤٤ ، ٣٥٨ ، ٣٩٩ ، ٤٢٣ .
([٦]) نفسه ١٤٨ .
([٧]) لسان العرب مادة (خنذ) ٩١٠/١ .
([٨]) نفسه مادة (نحر) ، ٥٩٥/٣ .
([٩]) المقتبس ، تحقيق محمود علي مكي ، ١٧١ .
([١٠]) القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ٤٩ .

وقد يدخل في هذه الألقاب النقد الانطباعي الصادر عن رضى الناقد النفسي عن أولئك الأدباء ، في حين انه يذكر عن الغزال في موضع آخر أنه شاعر قرطبة ثم يذكر سلبياته بقول : "وانبرى له شاعر قرطبة في ذلك الزمان يحيى بن الحكم الغزال منتهك الأعراض ، ومخزي الرجال ... "[١].

اثر الزمان والمكان في الشعر:

يؤكد ابن حيان على ان للزمان والمكان اثرهما في الشعر فيقول مثلا في وصفه للشاعر الغزال (١٥٦ -٢٥٥هـ) بأنه (شاعر قرطبة) فيبدو انه يعلي من شأنه ولكن حينما قال (في ذلك الزمان) احسسنا بأنه يريد سلب ذلك الاعلاء الذي منحه اياه ، اذ ان الغزال قد عاش في فترة صراع الامارة حيث الترف والاخذ بمتع الحياة والتورط احيانا في اللهو والمجون والترخص في عصر الانبذة وشربها وكثرة القيان وغيرها من مظاهر الانحلال الاخلاقي[٢] . فليس غريب ان يكون شاعر قرطبة في ذلك الزمان (منتهك الاعراض ومخزي الرجال) كما وصفه ابن حيان .

كما نجده في موضع آخر يوكل ضعف الشعر إلى الأحداث في عصر الفتنة فيقول: "وصار من مناكيد ذلك الصنيع الملحقة به عيب التقصير عُدْمُهُ لحُذّاقٍ من الشعراء يجيدون القولَ فيه ويُحسنون وصفه ، فيوفّون المبدع له حقه، إذ ألوى ببقاياهم الزمنُ العصيفُ المطاول للفتنة ، وجاء بأشباه له من شعراء مُتكلفين مثل الخاز باز [٣] المضروب مُثلةً، يهينمون بما لا وَدْقَ له من سمائهم ، ويفرغون في قوالب تضيق عن افراغهم، ويجهدون في حشو قوافيهم دون إرهافٍ للفظٍ ، ولا استنباطٍ لمعنى ، فلا يسرون ناقدا، ولا يهزون مُمترىً، ولا يُنشِطون راوياً ، واشق ما على الحائز لهم غلظهم في انفسهم ، واستقصارهم لمن امتدحوه في إخلاله ..." [٤] ويستمر في ذكر مثالب الشعراء في ذلك العصر ناقما منهم وهو الذي عايش تلك الفترة المظلمة من حياة الأندلس ممتعضا من أمرائها والقائمين عليها حتى يصل الى قوله "فبدا على الشعر يومئذٍ انكسار ، ولحق احفافه انهيار ، وأصمَّ به الناعي مُسمعاً يندبُ شَجوَه بابن اليماني، مُناديا ينادي : يا ادريساه ، ولا إدريس [٥] يومئذ للقوافي،

---

(١) المقتبس ، تحقيق محمود علي مكي ٢٠٠ .
(٢) ينظر: الادب الاندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة : د. احمد هيكل ، ١٢٢ .
(٣) الخاز باز حكاية صوت الذباب .
(٤) الذخيرة ، ق٤/مج٧/١٣٨-١٣٩ .
(٥) ويقصد به ادريس بن اليماني (ت٤٧٠هـ) وكان معروفا بجودة شعره وانتشاره (ينظر:الذخيرة ق٣/مج١/٣٣٦).

وكل شيء له حَتفٌ موافي"[١]، وفي اسلوبه الناعي هذا سجع وازدواج وكأنه ينوح به على الاندلس وشعر شعرائها في ذلك الزمان .

اللفظ والمعنى :

لابن حيان وقفات عند اللفظ والمعنى في قصائد عصره _عصر الفتنة_ فشعراء هذا العصر يجهدون في حشو قوافيهم دون ارهاف للفظ، ولا استنباط لمعنى ، فهو لا يجعل للوزن والقافية تلك الأهمية التي كان يركز عليها العروضيون في الشعر بِعدِّها اهم شيء فيه[٢]، بل يرى أن لإرهاف اللفظ واستنباط المعنى أهمية أكبر من ذلك . ويشير أيضا إلى أهمية استنباط المعاني ودقتها وعدم السبق إليها في قوله: " ومن حسن استنباط أحد هؤلاء الشعراء وهو حسن بن حسان الطائي الأندلسي المعروف بالسنّاط لقب غلب عليه ،في مديح الناصر لدين الله بمعنى دقيق لاأعلمه سُبق اليه وكانت له منزلة أنسٍ وخصوصية ، قوله :

اخذوا الورى من جوده فغنوا به كل بأجـــــــــــــــــمعهم ولم يخـــــــلل به

كالشمس تأخذ كل عين ملأها منـــــــــــــــــها وتبقى والشعـــــاع بحسبه

مَلَكٌ يظل المدحُ يهجو بعضه بعضا،إذا ما المدح لم يمدح به[٣]

فالأبيات قائمة على مدح الكرم وبصورة مبالغ فيها مصورة تصويرا محسوسا من خلال تشبيه كثرة الغنى بضوء الشمس الذي لا ينضب مهما اخذ منه .

كما ان ابن حيان كان ينتبه الى المعنى المختل ويشير إليه ، من ذلك تنبهه على مقدم بن معافر القبري الذي اشاد بكون شعره مطبوعا ينقاد له الكلام ، لكنه يقول فيه : "الا انه كان يخل بمعانيه بعض الاخلال"[٤]. وقد ذكر ذلك دون ايراد شاهد على ذلك الإخلال ، وان الطبع لا يتنافى مع إخلال المعنى اذ ان المعنى يحتاج الى تأن ومراجعة وتنقيح وقد يكون القبري هذا ليس من المنقحين للشعر.

وابن حيان كان يعلي من شأن السابق الى معنى دون غيره من ذلك قوله في قصيدة لمحمد بن شخيص : "...فأنشد شعرا طويلا حسنا له سبق فيه الى ذكر فتح حصن الكرم من ارض العدوة على المارق حسن بن قنون..."[٥].

---

(١) نفسه ق٤/مج١/١٣٩-١٤٠ .

(٢) ينظر:(منهاجية ابن حيان في تاريخ الادب ونقده):د.محمد مفتاح ، مجلة المناهل، ع٢٩، س١١ ، ١٩٨٤،٢٣٣ .

(٣) المقتبس،ج٥، تحقيق: شالميتر،٤٣ - ٤٤ .

(٤) القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ٤٦ .

(٥) المقتبس في اخبار بلد الاندلس ، تحقيق: عبد الرحمن الحجي ، ١٣٦ .

ولكنه مع ذلك يفضل عدم الإطالة في أبيات الشعر إذا بلغ الشاعر المعنى المطلوب، فقد مدح في ابن شهيد ذلك بقوله :"كان ابو عامر يبلغ المعنى ولا يطيل سفر الكلام"[١].

وهذا هو نهج ابن حيان ذاته في كتاباته إذ كان يعمد إلى الاعتدال بين الإيجاز والإطناب ، وقد أكد ذلك المستشرق دوزي بقوله متحدثا عن اسلوبه :"ان ابن حيان سيال الأسلوب ، ولكنه مع ذلك لا يتميز في الاطناب والقعقعة اللفظية كما فعل غيره من اصحاب الروايات "[٢].

تفضيل الإيماء على الإفصاح في المعاني :

ومما يستوقفنا عند اهتمام ابن حيان بالمعاني المساقة في شعر الشعراء انه كان يفضل الإيماء فيها على الإفصاح ويمدحه ، من ذلك قوله في التعريف بأبي محمد بن أسد أنه "كان حسن الحديث، فصيح اللسان، حلو الإشارة ، غزير الافادة"[٣].

وهذا يتفق مع تفضيله لعدم الإسراف في طول الشعر مع ابتغاء المعنى فهو حلو الشارة دون الإطناب مع غزارة الفائدة من تلك الاشارة . فيؤكد ابن حيان ذلك في تعريفه لسعيد بن جودي بأنه كان "شاعرا مفلقا ، فصيح اللسان ، جميل الشارة ، مليح الإشارة"[٤].

الالتزام الأخلاقي والديني:

وإذا تقصينا انتقادات ابن حيان لمعاني الشعراء في مجمل كتاباته وجدنا أن الوازع الذي يستثيره فيها على الأغلب هو الوازع الأخلاقي والديني إذ نجده يتهجم في كلامه على أبي عامر بن شهيد حينما مدح هشام المعتد لقتله وزيره عبد الرحمن الحنّاط ، اذ قال قصيدته تلك "وهي قصيدة ذميمة المعاني ، استهدف بها الى سفك دماء المسلمين ، وجسر هشاماً على الفتك بالعالمين"[٥]. ثم يذكر أبياتاً من تلك القصيدة وبعدها يقول : " في أبيات غير هذه ، ما أحسن فيها ولا اغرب ، بل أعرب عن سُقم يقينه ورقة دينه"[٦].

فالالتزام الديني والأخلاقي وقوة الانتماء للأندلس عند ابن حيان كل ذلك ادى الى هذا الهجوم على صديقه ابن شهيد في قصيدته هذه وهو الذي قد مدحه في مواضع اخرى [٧].

---

(١) الذخيرة : ق١/ مج١ /١٩٢ .

(٢) تاريخ الفكر الاندلسي : انخل بالنثيا ٢١١ ؛وينظر : (ابو مروان بن حيان اديبا وكاتبا) :د.حازم عبد الله خضر ، مجلة اداب الرافدين، ع٢١ ، ١٩٩٠ ، ٣٩-٤٢ .

(٣) كتاب الصلة ، ١٦٠ .

(٤) القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ٣٠ .

(٥) الذخيرة : ق٣/مج١/٥٢١ .

(٦) الذخيرة : ق٣/مج١/٥٢٢ .

(٧) ينظر : نفسه : ق١/مج١/١٦١-١٦٢ .

ولكننا نجد ان ابن بسام ناقل ذلك القول عن ابن حيان يخالفه الراي فنراه يقول معلقا على ذلك النص :"قلت انا صاحب الكتاب : اما الابيات في نفسها فدر مكنون، وسحرٌ مبينٌ، وابو عامر كان اعجب وأنجب من ان يقال له ما احسن وما اغرب ، ولو قال: حَضَّ على أهل بلده ، وابان عن فساد معتقده بعد ان يبرأ اليه من البيان ، ويسلم له غاية الاحسان، لكان أولى بابن حيان"[١].

فابن بسام بهذا يظهر مجاملاً في آرائه أكثر من ابن حيان ، وقد يعود ذلك لابتعاد عصر ابن بسام عن احداث تلك الفترة وعدم معايشتها اذ توفي ابن شهيد عام (٤٢٦هـ) وعاش ابن حيان بين (٣٧٧-٤٦٩هـ) ، بينما ابن بسام توفي في (٥٤٢هـ) أي لم يعاصر ابن شهيد كما عاصره ابن حيان الذي يبدو ان لقصيدته تلك اثراً على سوء الاحوال وانقلابها مما أغاظ ابن حيان بهذا الشكل.

كما نجد لابن حيان موقفا مقاربا من هذا ضد القلفاظ النحوي الشاعر الشهير اذ يصفه بالبذيء لأنه هجا في قصيدة مدحٍ لأحد الأمراء عشيرته وسادته من اهل قرطبة الذين انقلبوا عليه فلما انشده اياها مقته وحرمه عطاءه فانصرف خائبا وجاش طبعه الخبيث المسرع الى كل من عامله فابتدأ بهجاء ابن حجاج فلما بلغ الشعر ابن حجاج ارتمض منه وهدده بقطع رأسه فكف عما شرع فيه[٢]. وقد ذكر ابن حيان في موضع اخر ما جرى بين القلفاط هذا وابن عبد ربه من نقائض حتى اهتاج الشر بينهما ففضل ابن حيان القلفاط على ابن عبد ربه بقوله:" وكان القلفاط في الهجاء امس طريقا من ابن عبد ربه"[٣].

ومما يظهر التزامه الديني والاخلاقي ايضا في نقده للشعر قوله في حديثه عن ابن عباس انه "كان قد ولع ببيت شعر صيّره هجواه اوقات لعبه بالشطرنج ، او معنى يسنح له مستطيلا بجده:

عيون الحوادث عني نيام وهضمي على الدهر شيءٌ حرام

وشاع بيته هذا عند الناس، وغاظهم ، حتى قلب له مصراعه بعض الشعراء فقال : "سيوقظها قدر لا ينام"

فما كان إلا كلا ولا حتى تنبهت الحوادث لهضمه انتباهةً انتزعت منه نخوته وعزته ، وغادرته اسيرا ذليلا .... فاخذه اخذ مليك مقتدر ، والله غالبٌ على امره"[٤].فقد غاظ ابن حيان معنى شعر ابن عباس فاقتص منه وهاجمه لان فيه الحادا وتكبرا.

---

(١) نفسه : ق٣/مج١/٥٢٢ .

(٢) القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ١٣٢ – ١٣٣ .

(٣) نفسه ، ٤٢ .

(٤) الاحاطة في اخبار غرناطة : للسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مج١/ ٢٦٨ - ٢٦٩ .

ومما يثبت التزامه الاخلاقي نأيه عما يفحش ذكره من شعر في كتاباته ، إذ نجده يذكر حادثة منازلة الناصر لدين الله لعبد الرحمن بن وضاح حتى اسره وكان رجلا عقوراً[١] فقال في ذلك أحد شعراء قرطبة شعرا يستهزئ فيه بأبن وضاح هذا ، ذكر ابن حيان منه أربعة أبيات فقط ثم قال : "وبعد هذا ما يفحش ذكره"[٢].

ومما يمكن ان نحيله الى الوازع الديني عند ابن حيان انه قد نقل ما خرجه اضحى بن عبد اللطيف الهمذاني لسماع الشاعر الذي ارتج عليه القول صوتا يتمم له قوله بأنه هاتف من الله على من ظلم على خلاف ما عرف وما قيل في مثل هذه المواقف من شيطان الشعر وما شاكل من الخرافات والاساطير في هذا الموضوع [٣].

طول القصيدة مع ابتغاء المعنى :

فأبن حيان كثيرا ما كان يأخذ على الشعراء طول قصائدهم وحشو قوافيهم دون ابتغاء المعنى الذي يرومونه ، فهو في ذكره لشعراء عصر الفتنة فيما تقدم ذكره يقول عن ابن شرف " فانشد قصيدة اولها "يريني الهوى ان الهوى لين سهل " ما إن هي لاحقة بعيون شعره ، اطال فيها التشبيب فخلص الى التهنئة ، وقد استفرغ القريحة وطوّل فما أتى بطائل"[٤].

ثم ألحق القول في انتقاد شعر من تلاه بقوله :"ثم تقدم بعده البائس عبد الله بن خليفة الاندلسي المتمصر بزعمه ، فيا بؤسى لسابق صلى بعده. فأنشد قصيدة ملفقة ، ذات طنين وقعقعة، كثّر ابياتها وقلّل اقواتها"[٥].

فهنا أيضا نجده يكره طول القصيدة دون فائدة ولا طائل منها ، ثم يؤكد ذلك الرفض بقوله في قصيدته تلك :"فَوَّقَ ظَمأهُ بخمسين بيتاً سدىً ، لفّقها قصيدةً متخاذلةً لم يتفق فيها معنىً حسناً ولا قافيةً حرةً "[٦].

لكنه مع هذا كان يرفع من شأن القصائد الطوال ان كانت تقوم على معنى فاضل ويجيد فيها الشاعر ، من ذلك قوله في ذكر قصيدة لمحمد بن شخيص بأنه :"اطال واجاد[٧]

---

(١) العَقر والعُقر : العُقم (لسان العرب،مادة(عقر)،٢/٨٣٧).
(٢) المقتبس لابن حيان ، ج٥ / ١٩٧ .
(٣) ينظر : القسم الثالث من كتاب المقتبس ، ٦٣ .
(٤) الذخيرة ، ق٤/مج١/١٣٩ .
(٥) نفسه ، ق٤/مج١/١٣٩ .
(٦) نفسه ، ق٤/مج١/١٤١ .
(٧) المقتبس في اخبار بلد الاندلس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، ٢٣١.

وله في موقف آخر يقول في قصيدة أحد الشعراء بأنه :"أطال في تشبيبها ومديحها"[١] وهذا لا يتنافى مع تقاليد النقد العربي القديم في القول بطول القصيدة المدحية بخاصة لما فيها من الوقوف على النسيب والغزل او وصف الطبيعة وما شاكل لجذب انتباه السامع اليها كما يذكر ابن قتيبة وابن رشيق[٢] وكما قال حازم القرطاجني "والقصائد منها بسيطة الأغـراض ومنها مركبة ، فالبسيطة مثل القصائد التي تكون مدحا صرفا او رثاء صرفا، والمركبة هي التي يشتمل الكلام فيها على غرضين ، مثل ان تكون مشتملة على نسيب ومديح ، وهذا اشد موافقة للنفوس الصحيحة الاذواق لما ذكرناه من ولع النفوس بالافتنان في انحـاء الكـلام، وانواع القصائد"[٣].

ولكن ابن حيان كان يفضل عدم الاطالة في ابيات الشعر اذا بلـغ الـشاعر المعنـى المطلوب كما أشرنا سابقاً.

واخيرا عسى ان يصل هذا البحث المتواضع الى توضيح امتلاك أبو مروان بن حيان الأديب والمؤرخ تلك الآراء النقدية الادبية التي تبين سعة ثقافته واطلاعه على ادب عصره كما تبين نظرته الفاحصة الدقيقة .

هذا وان اغلب اراء ابن حيان النقدية من بنات افكاره ونظرته التحليلية التعليلية للادب الاندلسي في عصره وعصر سابقيه منذ فتح الاندلس عام ٩٢هـ، وان كان احيانـا يقتـدي بأفكار النقاد السابقين له.

ويمكن ان تشجع هذه الدراسة على تفحص الاراء النقدية الأدبية لغيره مـن الأدبـاء والمؤرخين المبثوثة في كتب اخرى.

كما انها تحث على إعادة النظر في تحقيق كتاب المقتبس لابن حيان الذي وقف علـى تحقيقه واعتنى بنشره المستشرق ملشورم انطونية عام ١٩٣٧ لما فيه مـن أخطـاءٍ لغويـة كثيرة .

ثبت المصادر والمراجع

- اتجاهات نقد الشعر في الأندلس في عصر بني الأحمر ٦٣٥_٨٩٧هـ :د.مقـداد رحـيم، المجمع الثقافي ،أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة ،٢٠٠٠م.

- الإحاطة في أخبار غرناطة : الوزير لسان الدين بن الخطيب (-٧٧٦هـ)،تحقيق محمد عبد الله عنان،دار المعارف بمصر،ط ١،١٩٧٧م.

- الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة : د. أحمد هيكل ، دار المعارف بمصر،ط ٧، ١٩٧٩م.

---

(١) الذخيرة : ق١ /مج١ /٧٦ .

(٢) ينظر: الشعر والشعراء،١/٧٤-٧٥ ؛ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ،١/ ١٢٣-١٢٤، ١/ ٢٥٥.

(٣) منهاج البلغاء وسراج الادباء ، ٣٠٣ .

- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة(٩٢ -٨٩٧هـ):د.منجد مصطفى بهجت، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ــ العراق،(د،ط)،١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

- الأعلام -قاموس التراجم:خير الدين الزركلي(-١٣٩٦هـ/١٩٦٧م)،دار العلم للملايين، بيروت ،ط١٦ ٢٠٠٥م.

- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس:احمد بن يحيى بن عميرة الضبي(-٥٩٩هـ)،مطبعة روخس،مدينة مجريط،١٨٨٩م.

- البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (-٢٥٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، (د،ط) ، (د.ت).

- تاريخ الفكر الأندلسي: آنخل جنثالث بالنثيا، ترجمة:حسين مؤنس،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط١ ،١٩٥٥م.

- تاريخ النقد الأدبي عند العرب -نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري :د.احسان عباس،(د،مط)،بيروت،ط٢ ،١٩٧٨م.

- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس:د.محمد رضوان الداية،دار الأنوار ،بيروت -لبنان،ط١ ، ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م.

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: ابو عبد الله الحميدي(-٤٨٨هـ)،الدار المصرية للتأليف والترجمة،القاهرة،(د.ط)،١٩٦٦م.

- ديوان ابي تمام حبيب بن أوس الطائي(٢٣١هـ): بشرح التبريزي ، تحقيق : محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥م.

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني(-٥٤٢هـ)، تحقيق:د.احسان عباس،دار الثقافة، بيروت -لبنان،(د.ط)،١٩٧٩م.

- الصلة:ابن بشكوال(-٥٧٨هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة،القاهرة،ط١، ١٩٦٦م.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده :ابن رشيق القيرواني(-٤٥٦هـ)،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادةبمصر،ط٣، ١٣٨٣هـ -١٩٦٣م.

- عيار الشعر:محمد بن احمد بن طباطبا العلوي (-٣٢٢هـ)،تحقيق:د.محمد زغلول سلام، توزيع منشأة المعارف بالاسكندرية،مطبعة التقدم،مصر،(د.ط)،(د.ت).

- كتاب الحلة السيراء:أبو عبد الله محمد القضاعي المعروف بابن الأبّار(-٦٥٨هـ)،تحقيق:د.حسين مؤنس،الشركة العربية للطباعة والنشر،القاهرة،ط١، ١٩٦٣م.

- لسان العرب المحيط:ابن منظور(-٩١١هـ)،تقديم عبد الله العلايلي،إعداد وتصنيف:يوسف خياط،دار لسان العرب،بيروت،(د،ت)،(د.ط).

- المغرِب في حُلى المغرِب:ستة مؤلفين آخرهم علي بن سعيد (٦٨٥هـ)،تحقيق:د.شوقي ضيف،دار المعارف بمصر،القاهرة،(د.ط)،١٩٥٥م.

- المقتبس:ابن حيان،ج٥،تحقيق:شالميتر،مراجعة:كورينطي وسوبا وغيرهما،مطابع ريكاش.م للطباعة العربية ،مدريد،١٩٧٩م.

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس:لأبي مروان حيان بن خلف ابن حيان الأندلسي،تحقيق:عبد الرحمن علي الحجي،دار الثقافة،بيروت -لبنان،(د.ط)،١٩٦٥م.

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس:لأبي مروان حيان بن خلف ابن حيان الأندلسي،شرح:د.صلاح الدين الهواري،المكتبة العصرية،صيدا -بيروت،ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس(القسم الثالث)وهو مشتمل على تاريخ دولة الأمير عبد الله الأموي بقرطبة:للمؤرخ الشهير ابي مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان،تحقيق:ملشورم انطونية،بولس ككتتر الكتبي،باريس،(د.ط)،١٩٣٧م.

- المقتبس من أنباء اهل الأندلس:لابن حيان القرطبي،تحقيق:د.محمود علي مكي،لجنةاحياء التراث الاسلامي،القاهرة،(د.ط)،١٤٣١هـ -٢٠١٠م.

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء:أبو الحسن حازم القرطاجني(-٦٨٤هـ)،تحقيق:محمد الحبيب بن الخوجة،دار الكتب الشرقية،المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية،(د.ط)،١٩٦٦م.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب:للمقري التلمساني(-١٤٠١هـ)،تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد،دار صادر،بيروت،١٩٦٨م.

- نقد الشعر في الأندلس -قضايا ومواقف:د.مقداد رحيم،دار أزمنة للنشر والتوزيع،عمّان،ط١،٢٠٠٧م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:أبو العباس شمس الدين بن خلكان(٦٠٨ -٦٨١هـ)،دار صادر ،بيروت،١٩٦٩م.

الدوريات

- أبو مروان بن حيان أديباً وكاتباً : د.حازم عبد الله خضر، مجلة آداب الرافدين ،ع٢١ ، س١٩٩٠م.

- أبو مروان بن حيان القرطبي وتاريخ الأندلس في قراءة جديدة:د.عائشة عبد الرحمن، مجلة المناهل المغربية،ع٢٩،س١١،جمادى الثانية١٤٠٤هـ/مارس١٩٨٤م(عدد خاص بندوة ابن حيان وتاريخ الأندلس).

- منهاجية ابن حيان في تاريخ الأدب ونقده:د.محمد مفتاح، مجلة المناهل المغربية،ع٢٩،س١١،جمادى الثانية١٤٠٤هـ/مارس١٩٨٤م(عدد خاص بندوة ابن حيان وتاريخ الأندلس).

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.